من صحيح ا

تقديم

أناهيد بنت عبي

غفر الله لها ولوا

١٤٤٧ من الهجرة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنّة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّ وجلَّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الثالث

تابع بَابُ الاِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. هذا هو لقاؤنا الثالث في هذه الدورة، نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعل اجتماعنا حول سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- دليل إيماننا ويقيننا، وسبب ثباتنا واستقامتنا على طريقه -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

مراجعة اللقاء السابق

كنا بالأمس وقفنا عند هذا الحديث الذي تحت (بَابُ الاِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-.)، وكان ضمن الحديث إشارة إلى رؤيا رآها النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وهذه الرؤيا فيها دلالة مناسبة اختار البخاري أن تكون تحت هذا الباب، سنرى وجه اختيار البخاري لهذا الحديث تحت هذا الباب.

نراجع سريعًا فقط مجمل معنى الحديث، ثم نشير إلى هذا الأمر:

(جَاءَتْ مَلَائِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ):

هذه إشارة لخاصية من خصائص الأنبياء؛ الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. فائدة هذه الخاصية للأنبياء:

أولًا: أن ما يجري على أفئدتهم، لا يتمكن منه الشيطان، فلا سبيل للشيطان عليهم في منامهم.

ثانيًا: إن كل ما يراه النبي أو يسمعه حقٌ ووحيٌ.

وأكدنا على أن ما يراه الأنبياء وحي، لكن له نوعين لفهمه:

النوع الأول: أن ما يراه الأنبياء أو يسمعونه يعتبر كلام يؤخذ على ظاهره، ومثاله الواضح رؤية إبراهيم -عليه السلام- لذبح ابنه، قال تعالى: (يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ)[1] .

النوع الثاني: نوع يكون الوحي فيه هو التعبير. لنتصور هذا نسمع حديث النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنِّي لَأَرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ مِنْ أَظْفَارِي، ثُمَّ أَعْطَيْتُ فَضْلِي عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ»، قالوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «العِلْمَ»[2].

فأولًا: النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- هو الذي يؤول.

ثانيًا: ماذا تفهم من الحديث؟ هل سيشرب النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قدح لبن ويعطي عمر؟ لا، فمن المؤكد أن المقصود هنا التأويل، والذي سيؤول هو النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

ففرق بين رؤية إبراهيم -عليه السلام- وهو يذبح ابنه، وفرق بين مثل هذه الرؤى التي تؤوَل، وهذان طريقان في رؤى الأنبياء.

(فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا): أشرنا هنا إلى كون الأمثال في القرآن والسنة من العلوم العظيمة؛ ولذا كان السلف الصالح عندهم حرص شديد على إفراد كتب لجمع الأمثال في القرآن ومثلها في السنة وفهمها. ومن أسباب ذلك أن الله قد أخبر عن أمثاله قال: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)[3] فأصبح عقل الأمثال دليلًا على العلم؛ فلذلك اعتنى السلف الصالح بمسألة الأمثال.

(فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ): تكرار هذه الجملة من باب التأكيد على أن هذه الرؤيا وحي.

(فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً، وَبَعَثَ دَاعِيًا): المثل المضروب الآن إنما تأويله سيبينه، لكن ليس تنفيذًا. هذا المثل فيه كمثل رجلٍ بنى دارًا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا؛ أي أن العناصر الثلاثة المكونة للمثل: دار، ومأدبة، وداعٍ. وهذه العناصر الثلاثة سنفكر في تركيب ما يقابلها.

ما هي هذه العناصر الثلاثة؟

العنصر الأول: رجل بنى دارًا.

العنصر الثاني: مأدبة.

العنصر الثالث: مأدبة. يعني ما يقدم للأضياف.

(فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ): إذًا هذه المأدبة التي تُعد ويصنع فيها الطعام، لا بد أن تصنع لأجل الضيوف. من سيدل الضيوف على المأدبة؟ الداعي. الفضل لمن؟ الفضل لصاحب الدار، أو صاحب المأدبة. لكن صاحب المأدبة سدّ كل طريق يوصل إلى مأدبته وإلى داره إلا طريق هذا الداعي. فتصور الدار بعيدة، والداعي خرج إلى أنحاء البلدة وبحث فيها وأتى من هنا ونادى هؤلاء وهؤلاء، وكلّ لا يعرف

---

[1] () الصافات: 102.

[2] () أخرجه البخاري: (82).

[3] () العنكبوت: 43.

الطريق إلى الدار، ينتظرون الداعي يتقدمهم. فكل طريق يوصل إلى هذه الدار مجهول إلا طريق هذا الداعي، هو وحده الذي يعرف الطريق الذي يوصل إلى المأدبة.

(فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ): فقط من أجاب الداعي استطاع أن يدخل الدار ويأكل من المأدبة. ولاحظ أن الذي يستجيب للداعي قد يحصل أن يسير وراءه فترة من الزمن، ثم يأتي يقول: "أنا أعرف طريقًا مختصرًا"، أو يأتي أحد يقول له: "تعال أدلّك على طريق آخر!"، فما إن يخرج وراء هذا إلا ويتوه؛ لأنه لا أحد يعرف طريق المأدبة إلا الداعي؛ ولذلك من أجاب الداعي دخل الدار. وأي أحد استجاب لأي أحد آخر سيضيع، وهذا مثَل يستطيع العاقل أن يفهمه بوضوح؛ لأن الناس أكثر ما يخافون منه أثناء خروجهم لقضاء حاجاتهم عندما يخرجون إلى مكان مجهول، أكثر خوفهم يكون من الضياع؛ ولذلك يحرصون على أن يكون دليلهم متقنًا للطريق. فعندما يُعلم أن هذا الطريق لا يعرفه إلا واحد، فسيكون هناك حرص شديد على تتبعه، أو سنأخذ عنوان الباب فنقول: "على الاقتداء به والسير خلفه." فكأن الاقتداء الآن يفسّر بالحديث. ما معنى أن تقتدي به؟ ثلاثة أمور، فكروا فيها من خلال تصوركم لهذا المثل:

الأمر الأول: اليقين بأنه لا يمكن أن يكون الوصول إلا عن طريق الداعي.

هذا اليقين هو مبدأ شهادة أن محمدًا رسول الله، رسول أُرسل يدعوكم إلى المأدبة، فهذا ينطبق على نفس مفهوم الإيمان بالرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

إذًا معنى الاقتداء ظاهر في الحديث. كيف تشرح الاقتداء؟ أقتدي؛ أولًا أعرف أنه ليس هناك طريق يوصلني إلا هذا الطريق، وكل طريق يوصل إلى الله مسدود إلا من طريق النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

الأمر الثاني: يكون عندنا تمسّك وحرص على متابعة الداعي، على ملاحظة سنّته، على أن تكون خطوتنا على خطوته -صلَّى الله عليه وسلَّم- حتى لا نضيع. وأكثر شيء يصور لكم هذا المعنى عندما نكون في الحج -اللهم بلغنا يا رب العالمين!- ويكون هناك حامل الراية في حملات الحج، مجرد أن يشرد عقلك في أي شيء مباشرة تضيع! وعندما تضيع، خصوصًا في الحج، لا تقدر الأمر على أنه فقط دقيقة غفلت! هذه الدقيقة يدفع الإنسان ثمنها غاليًا!

أكلمك عن هذا المشهد لتصور المشهد الآخر، نتكلم عن مِنى في مكة، تتضمن طرقًا تؤدي بك إلى الطائف أو إلى أحياء معينة؛ أي أنها لا تُغلق تمامًا، بل تجد فيها طرقًا توصلك إلى بقية الأماكن، وحين نرتاد الطرق ندخل منها. ولكن في موسم الحج تصبح مِنى شيئًا آخر؛ فمهما كانت لدي خبرة فيها وفي طرقها، ومهما تفلسفتُ وقلتُ: "أنا أعرف الطريق!"، فهذا حُكمٌ على نفسي بأني سأضيع! فمن أجل هذا -نريد تعزيز النقطة الأولى- لا تقل: "أنا أعرف الطريق الذي يوصلني" حتى لو كان عندك شيء من الخبرة! إيمانك أنه ما من طريق يوصل إلى الله إلا طريق النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، سيسد عليك أي مُحدثة أو أي فكرة تأتيك من أي مكان أن هذا قد يقرب من النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-. فيجب أن يكون سؤالك الدائم: هل هذا دلّ عليه الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم-؟ هل هذه خطوة في الطريق الذي أسير فيه؟ وهذا يسبب شدة الاعتصام، قوة التمسك، الشعور بالمسؤولية عن نفسي أني سأضيع لو لم أتمسك غاية التمسك؛ ما الذي يهون مسألة التمسك؟ يهون مسألة التمسك تصوّره "أني لو ضعت سأعلم الطريق!" وهو في الحقيقة بذلك يكون حكم على نفس بالهلاك! وهذا دائمًا يشاهد في الحج، من يضيع في الحج ربما يقضي الليلة والليلتين للعودة، فمن ثم الليلة والليلتان في النهاية سيعود هؤلاء، لكن الإشكال فيمن يضيع ولا يعود أبدًا! يعني هذا الطريق ليس كطريق الدنيا وهناك حلول، لكنه مثل طريق الآخرة.

هذا يشبه موقف -نسأل الله أن يحفظنا والمسلمين- جماعة خرجوا في صبيحة عرفة قبل أن تنطلق الحافلات من منى لعرفة، وقالوا: "نحن نعلم الطريق"، ويخرجون ويتوهون عن عرفة ولم يصلوا، وسبّب هذا أمورًا كثيرة في الإجراءات وفي التنظيم وفاتهم الحج ولم يقفوا في عرفة! تخيل هذه الخسارة كيف تشعر بها! هذا نموذج بسيط لمن ذهبت حياتهم بسبب أنهم اقترحوا منهجًا وطريقة، ومن المؤكد تشعر بهذا عندما نقول: "الفرقة الفلانية، هؤلاء يعبدون كذا، يتقربون بكذا!" من المؤكد تتصور أن هؤلاء ضاعت أعمارهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

الأمر الثالث في مسألة الاقتداء: الاستغاثة برب العالمين أن يبقينا على الطريق، سؤال رب العالمين المتكرر: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)[4]! سؤال رب العالمين: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»[5] ، الطريق لا يكفي فيه شعورك، بل يحتاج منك جهدًا، والجهد مقسوم إلى قسمين:

القسم الأول: التمسك؛ أتعلم وأراجع.

القسم الثاني: الاستغاثة؛ تستغيث بالله أن يبقيك على الطريق.

الاستغاثة برب العالمين أن يحفظنا على الطريق المستقيم، هذه خطوة وجدانية أساسية باقية ما حيي الإنسان.

بهذا الثلاثة أمور يكون الإنسان قد اقتدى بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-؛ يعلم أنه ما من طريق يوصل إلى ربنا إلا هذا الطريق، يتمسك بهذا الطريق، يطلب من رب العالمين أن يحفظه في هذا الطريق؛ لأن الأحوال البشرية لا بد أن يكون فيها غفلة، لا بد أن يكون فيها حالة من غلبة الشيطان على هذه النفس الإنسانية، فما ينجينا من هذا إلا أن نستغيث برب العالمين.

هذا كلام لا بد أن يكون مباشرة خطة واقعية، لا يصح أن يكون كلامًا نسمعه في المجالس ونسعد به ونطلب من الله أن يجعله في موازين حسناتنا ثم ينتهي الأمر! لا بد أن يتحول الكلام إلى خطة عملية.

أما النقطة الأولى والأخيرة فهي مفهومة، يعني تتيقن أنه ما من طريق يوصل وأنك تستغيث، بقيت النقطة الثانية التي هي التمسك وقد أشرنا إليها سابقًا التي تبدأ بالعلم؛ أهم شيء العلم، المراجعة، الفهم على منهج السلف. وأشرنا إلى ذلك في اللقاءين السابقين. المهم أن يتحول الموضوع إلى شاغل لنا، الناس يخططون لحياتهم كأنهم لن يموتوا أبدًا! وينسون الحياة الأبدية الطويلة ولا يخططون لها، والتخطيط للحياة الأبدية إنما أتي في هذا الحديث. هذه الرؤية تختصر عليك الموضوع، أنت في كل هذه الحياة أنت عندك مشوار واحد، وفي هذا المشوار تسير خلف من؟ خلف النبي

---

[4]() الفاتحة: 6.

[5]() أخرجه الترمذي: (2140).

-صلَّى الله عليه وسلَّم-، ماذا تفعل؟ تقطع الحياة لتذهب إلى الدار الآخرة وتأكل من المأدبة التي هي نعيم الجنة، ولتقطع هذا المشوار ما عليك إلا أن تكون في مركب النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، هذه الخطة باختصار. فأكثر من هذا الوضوح في تبيين الحياة لا يوجد، مثَّل في غاية الوضوح والسهولة، ونحن ما علينا في مثل هذا الموقف إلا أن نكون منتبهين.

(فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ): مهما سعى، إن لم يجب الداعي ويسر خلفه، من المؤكد لن يدخل الدار ولن يأكل من المأدبة.

(فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْعَيْنَ نَائِمَةٌ وَالْقَلْبَ يَقْظَانُ): هنا الشراح ما أشاروا لمن المقصود بهؤلاء الملائكة، ولم يأتِ نص صحيح في البيان. الآن الملائكة تقول لبعضها: "أولوا له." جاءت الرؤية وجاء فيها التأويل، ما التأويل؟!

(فَقَالُوا: فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ): الحديث الآن كما أن فيه الرؤية فيه تأويلها، وتأويلها واضح؛ رجل بنى دارًا، وجعل فيها مأدبة وبعث داعيًا. عندما تنظر في التأويل تجد قد أُولت الدار بالجنة، وأُوّل الداعي إشارة إلى النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-. ولو أشرنا إلى المأدبة سيكون نعيم الجنة، وإذا أشرنا إلى ما يمثّل برجل بنى دارًا تكون الإشارة إلى الله عزَّ وجلَّ، فهو سبحانه وتعالى الذي بنى الجنة لأهلها.

الآن بقي التأويل المهم الذي هو الشاهد لنا:

(فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدُبَةِ)، تأويلها: فمن أطاع محمدًا -صلَّى الله عليه وسلَّم- فقد أطاع الله، (دخل الدار وأكل من المأدبة)؛ لأنه أطاع صاحب الدار وصاحب المأدبة.

(وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدُبَةِ)، المعنى الثاني: ومن عصى محمدًا فقد عصى الله.

نرى كلمة (أطاع) و(عصى)، ماذا تلزمنا؟ ليُسمى الإنسان طائعًا للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لا بد له من شرطين:

الشرط الأول: القبول. ماذا يقبل؟ نبتدئ بأن يقبل نبوة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، أيضًا قبول أنه لا طريق يوصل إلى الله إلا من طريقه، بمعنى لو أتى أحد وقال: "إن هذه طريقة الشيخ الفلاني وهي توصل إلى الجنة!" لاحظتم كلمة (طريقة) وعندما كثرت قالوا: "لكل شيخ طريقة!" هذا يعني ألا نختلف، وكأن النتيجة: "وكل الطرق توصل إلى الجنة!" ونحن عندنا المسألة بالعكس؛ قبول نبوة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- يلزم منه أنه لا طريق يوصل إلى الله إلا من طريقه -صلَّى الله عليه وسلَّم-. وحين يستقر في وجدانك مفهوم قبولك لنبوة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ولكونه هو الموصل إلى رب العالمين وإلى الدار؛ ستجد نفسك ترفض كل طريقة ومنهج غيره، بداية بعظائم الأمور إلى دقائقها، بمعنى أن القبول لنبوة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- مسألة كلية ولها أطراف جزئية. والناس يتفاوتون على حسب كمال قبولهم للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- في تفاصيل حياتهم، يصل الإنسان في قبول نبوة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى أن يشعر أن ما من واردة ولا شاردة، إلا ولها في سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- منهج علمه من علمه وجهله من جهله، وتكون أمنية الإنسان أن يصل إلى أن يعلم تفاصيل سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ليكون تابعًا لها، ليكون سائرًا عليها، هذه نهاية القبول أن يكون في كل التفاصيل. كل مرة ينزاح شيء من حياتنا خارج دائرة القبول لسنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، يكون هذا نوع نقص في القبول.

إذًا ماذا تعتقد؟ أنه لا يوجد طريق يوصل إلى الله إلا عن طريق النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ترفض جميع الطرق الأخرى، تتيقن أن هذا الطريق كامل شامل في تفاصيل الحياة حتى لو لم نعلم، لكن هذا شيء ضروري أن نكون كلنا مؤمنين بقوله تعالى: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)[6] ، من المؤكد أن الدين كامل، لا يوجد شيء في تفاصيل الحياة إلا وهو موجود في هذه السنة المباركة. إذًا هذا الشرط الأول وهو شرط القبول وفيه تفاصيل كثيرة، نؤكد أن القبول هو في الأصل أمر اعتقادي، لنتصور ما بعده.

لنضف شيئًا في القبول مهمًا وهو اعتقاد أن السنة كلها خير، أن ما أتى به النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كله خير، وأننا بحاجة للعلم بتفاصيلها؛ لأن الشرط الثاني هو: الانقياد. وهذه النقطة مهم أن أناقشها من عند القبول. نحن لا نختلف في الكليات ولا حتى مع الناس الذين لديهم شيخ وطريقة، الكليات المقصود بها الإيمان بأنه رسول، وأن منهجه حق، هذه كليّات متّفق عليها، لكن مشكلتنا عندما نأتي في الجزئيات، عندما نأتي في التفاصيل التي ستنفّذ، عندما نلتزم بسنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- تمامًا ولا نخالفها ولا نزيد ولا ننقص، يأتي من يقول: "لا تتشددا!" أو يأتي ويقول: "في الطريقة الفلانية نفعل كذا وكذا!" الآن الشرط الأول هو القبول، نعلم أن سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كلها خير، وأن هذه السنة أتت على كل تفاصيل الحياة علمناها أو جهلناها.

النقطة الثانية: الانقياد من يطيع النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كما أنه يقبل كذلك ينقاد.

المقدمة هي القبول والنتيجة هي الانقياد. هذا الكلام يشبه مجلسنا الآن -الله يجعلنا جميعًا من القابلين- يجب أن يحصل القبول: أنا لا أتابع إلا سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وأعلم أن سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- كلها خير. الخطوة الثانية فيها يفترق الناس، لو لم تكن المقدمة صحيحة فالنتيجة لن تكون صحيحة، أحيانًا التقصير يكون في النتيجة، في الانقياد، ماذا يُقصد بالانقياد؟ إلزام النفس بأمور تدل على القبول.

إلزام النفس بماذا؟ إلزام النفس بالبحث والطمأنينة لسنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، يعني تبحث وقلبك مطمئن، يعني ما من حرج أبدًا، هذا مبنيٌ على ما قبله؛ لأن تعريف القبول: سلامة الصدر من الحرج. عندما نأتي في الانقياد، أنا أطلب سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، أتعلمها، أعرف ما هي السنة وقلبي مطمئن، لماذا؟ لأي شيء مطمئن؟ لأن هذه المتابعة هي الخير، وهي التي ستوصلني للدار وتجعلني آكل من المأدبة، الاطمئنان أن هذا التنفيذ هو طريق السلامة، بمعنى الذي يقبل، لا يكون في صدره حرج، يأتي لغيرك نفي الحرج على التنفيذ مثلما قبلته أنت وما من حرج في نفسك أبدًا، تشعر أن هذا هو الكمال فتطمئن أنك تفعل هذه الأفعال وأنت تسير خلف النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، مطمئن أنك لن تضيع وستصل إلى ما وعد الله ووعد رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

---

[6] () المائدة: 3.

إذًا العلم، البحث عن سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، الحرص على تنفيذها مع الطمأنينة. الآن أنا عندي قبول وعندي انقياد، وأنت تقبل لا يكون في قلبك حرج، وأنت تنقاد لا يكون في نفسك أي اضطراب، بل تنفذ وأنت متأكد من أن هذا الطريق سيوصلك إلى النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

لو نسينا أو أخطأنا في التنفيذ، ماذا سنقول؟ (رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا)[7] ، هذا في الانقياد. أما القبول فلا يكن في نفسك حرج أبدًا.

الحرج هو كلمة في اللغة معناها؛ تصور مثلًا الماشية وهي ترعى تدخل في منطقة حرج، منطقة حرج عبارة عن أشجار متشابكة وهي تعلق فيها، فكأن هذا الأمر داخل النفس، حرج، ضيق، تشعر أن هذا الفعل لا يناسب العصر! يعني "كيف يظهر شكلي بلبس مثل هذا؟ أو كيف نقطع يد السارق؟ أو كيف نوقف كل شيء للصلاة؟!" حرج في الصدر، من سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، يشعر بحرج من أن يطلق لحيته ويقصر ثوبه!

هو ضيق في النفس من هذا الطريق، قبل أن يشار إليك أن تنفذه، هناك أمور لا علاقة لك بها أبدًا، لن تقوم بتنفيذ قطع يد السارق ولا قتل القاتل، لكن يجد أحدهم في نفسه حرجًا، فتجده يكتب لك مقالة طويلة مضمونها "إن الناس في تقدم ونحن لا زلنا هنا!" في نفسه حرج من الشريعة، فهذا سبب أن يفعل هذا الفعل أو يتكلم بهذا الكلام.

لا بد أن تلاحظ أن القبول غير الانقياد؛ القبول أوسع شيء، والانقياد ضيق على حسب مكانك، يعني إنسانة طيبة وقارئة وحافظة ومصلية وقائمة لليل، لكن لا تعلم أنه دخل إلى قلبها أفكار نسوية وغيرها، ثم تأتي وتقول: "لماذا شُرع التعدد؟ لماذا واجب على المرأة أن تطيع الرجل؟" وصلنا في نقاشات سخيفة إلى أن وصل -وهذا مثل حقيقي- الاتهام لله عز وجل: أنه لماذا المرأة تحمل وتتعب؟ لماذا الرجل لا يحمل؟ بهذه الصورة! بدأ الاعتراض على الشرع وانتهى على القدر، وبكامل عقلها وتقول هذا الكلام! عندما يحصل هذا الكلام من إنسان واضح عليه علامات عدم قبول الشريعة، ومن ثَمَّ عدم الانقياد لها، يكون شيئًا متوقعًا، لكن غير متوقع أن يخرج من امرأة مؤمنة من علامات إيمانها قبولها للشرع، فهذا إنما هو اعتداء على الله والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- إنما يدلنا على الله، الله هو المشرّع، فأي اعتراض على الشرع هو اعتراض على رب العالمين تحت أي اسم كان!

أنا أقول ناصحة لنفسي ولكم: في كثير من الأحيان نحن ننتقد أفكارًا ونعتقد أننا بعيدون عنها؛ ننتقد النسوية، العلمانية، الرأسمالية... إلى آخره، لكن قد تكون تسربت مفاهيمها إلى نفوسنا ونحن لا نشعر! ومثل هذه الأفكار أصبحت منتشرة مثل الهواء الذي نتنفّسه. فنحن لا نريد أن نلقى ربنا وفي نفوسنا حرج من شيء من الشرع، وكن متأكدًا من أن هناك فرقًا بين القبول والانقياد، وأن القبول أوسع من الانقياد، وأن هناك أمورًا العبد ضعيف عن أن يتصور المصلحة العظيمة فيها، فلا تضع نفسك شريكًا لله وتعترض على شرع الله. عندما تعترض على شرع الله ترتفع من كونك عبدًا لله، لكونك شريكًا مع الله! وهذا الذي يجعل الحرج جريمة، هذا الذي يجعل الحرج خطيئة؛ أن الإنسان الذي في نفسه حرج هو معترض؛ لأن أمام القبول: الاعتراض، فأنت وسّع دائرة القبول واسأل الله أن يعينك على التنفيذ، على الانقياد.

ولو شعرت أن هناك مسألة لا تستطيع أن تستوعبها على نفسك أو تشعر أن تنفيذها صعب عليك، اطلب من الله ألا تدركها، ولكن في الأصل يجب عليك القبول، ولله الحكمة البالغة في كل شرع شرعه مهما كان تنفيذه صعبًا.

هذا الكلام مهم؛ لأن به تفهم معنى الاقتداء بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، تفهم معنى الاعتصام؛ أقتدي، أعتصم، أقبل وأنقاد.

(ومحمد -صلَّى الله عليه وسلَّم- فرَّق بين الناس.): هذه الكلمة تُقرأ بالتسكين وتُقرأ بالتشديد (فرَّق بين الناس) و(فَرْق بين الناس)، المعنى واحد؛ أن من آمن به وخُتم له بالإيمان أصبح في فرقة، ومن كفر به -صلَّى الله عليه وسلَّم- أصبح في فرقة. من آمن دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن كفر لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، وبهذا نتصور الحديث السابق: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

هنا إشارة أخيرة في الحديث: إن هذا المثَل ينطبق على جميع الأنبياء، كل الأنبياء لهم نفس الصفة في زمانهم، كلٌّ في زمانه، والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- له هذه الصفة كونه -صلَّى الله عليه وسلَّم- خاتم الأنبياء.

ننتقل للحديث السابع:

- حدثنا أَبُو نُعَيْمٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ هَمَّامٍ، عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا، فَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا.

← الشرح:

---

[7] () البقرة: (286).

هذا القول عن حذيفة -رضي الله عنه-، ثم علينا أن نلاحظ هو يخاطب من؟ القراء في زمن حذيفة -رضي الله عنه- ليسوا مثل القراء في زماننا، في زماننا أصبح القراء قد يكونون قراءً بدون أن يكونوا فقهاء، بدون أن يكونوا علماء، في زمان حذيفة القراء هم العلماء الذين قرؤوا القرآن وعرفوا السنة وأصبحوا فقهاء.

ماذا يقول لهم؟ وما هي مناسبته للباب؟ (يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا) اربطها مع الحديث السابق، (فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ.) تستطيع أن تقول إنه أطاع الله وأطاع الرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وتستطيع أن تقول: هذا الطريق المستقيم الذي أتى النبي يدعو إليه؛ أولًا صفته أنه مستقيم، فاستقيموا على هذا الطريق الذي في مقدمته النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وأنتم خلفه؛ ولذلك تفهم الجملة التالية: (فَقَدْ سُبِقْتُمْ)، وهذه أصح قراءة بضم السين، وهناك قراءة بفتحها ولكن هذه القراءة الأصح، (فَقَدْ سُبِقْتُمْ) بمعنى لستم أنتم المتقدمين، متقدم عليهم النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-. النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- والأصحاب الكرام على طريق مستقيم وأنتم استقيموا على هذا الطريق.

هذا أيضًا نوع رسم لصورة مفهومة عند الأصحاب الكرام أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- هو القائد، هو حامل اللواء، هو على الصراط المستقيم، ونحن سنسير خلفه، ولكن حذيفة -رضي الله عنه- لم يكن يحدّث عامة الناس، كان يكلم القراء أي العلماء، لماذا ينصحهم هذه النصيحة؟! لأنهم لو استقاموا لكانوا أئمة لمن بعدهم، ولأن مثلهم -كل من لديه علم- الخطأ منه كبير، وقد تضل الأمة بسبب خطئهم، كل من كان لديه علم كان مكانه أخطر لأسباب، ما هي الأسباب؟

لأن الناس تعطيه الثقة، وهناك فرق كبير بين من يخطئ وهو لا يملك علمًا، وبين من يخطئ ولديه علم، والخطأ هنا ليس المقصود به الخطأ الغير مقصود، وإنما المقصود الضلال وسيشير إلى ذلك.

سأضرب مثالًا واقعيًّا حصل في العصور القريبة الحديثة لتفهموا خطورة العلماء، فيما عُرف في الأرض النجدية انتشار العلم وانتشار الاهتمام به والكتابة له، وهذا الشخص أتى رمزًا من الرموز في كتاباته وفي علمه إلى درجة أن خطيب الحرم المكي أشار إلى أحد كتبه وقال عن هذا الكتاب: "إنه قدّم مهر الجنة"، يعني من قوةِ الكتاب في الرد، هذا الكتاب صاحبه كتبه في الرد على الفِرَق الضالة، ثم حصل أنه ابتُلِيَ في نفسه كما نقول "اتصل بالحضارة" وحصل عنده ما يسمونه اليوم بالصدمة الحضارية، وهذه الصدمة لا تعذره بأي عذر ولكن أصور لك الحالة، ماذا ستكون هذه الصدمة الحضارية التي رآها قبل 100 سنة، تقريبًا؟ ماذا تتخيل؟ هل تكون سيارة؟! لهذه الدرجة كانت الأشياء مقارنة بما نراه لا شيء!

وبعد التقائه بالحضارة التي هي لا شيء! كتب كتابًا سماه: (الأغلال) إشارة إلى أن الدين والشرع أغلال على أصحابها، وما كتب كاتب -في الزمان المعروف- أفسد عقول الناس مثل هذا! أريد منك أن تتصور أن هذا نفسه في زمن المستشرقين، يعني تقريبًا في 200 سنة الماضية كانت الحملة الكبيرة هي حملة الاستشراق، المستشرقون يأتون ويتعلمون اللغة العربية ويتعلمون السنة ويتعلمون القرآن ويكتبون بما يطعن في الدين! هذا كتب كتابًا لو جُمعت كتب المستشرقين كلها ما كانت في منزلته من الإفساد! ما هو السبب؟! السؤال هو الفترة السابقة؛ فترة العلم، كان يعلم الشريعة بالتفصيل ويعلم أنواعًا من الشُّبَهِ قد يثيرها، فلما كتب، كتب بنفس الذي في نفْسه غِلّ، هو سماه "الأغلال" ولكن الحقيقة أن الغِلّ كان في نفسه! وأتى إلى دقائق الأمور التي لا يفهمها إلا من تعلم الشرع وقلبها على أصحابها، فكان هذا الشر العظيم، ولا يزال أهل الباطل إلى اليوم كل فترة يطبعون الكتاب وينشرونه ويوزعونه!

الشاهد من هذا الموقف تفهم لماذا يُقال للعلماء -للقراء خاصة: "استقيموا!" لأن مثل هؤلاء عندما يكون معهم سلاح الشريعة يمكن أن يغدروا بأهلها ويطعنوهم في ظهورهم بإخراج المتشابهات وبإبطال الحق بلسان فصيح، وهذا خطر عظيم عندما يُفتَنُ إنسان كان مستقيمًا وخصوصًا لو كان عنده علم؛ يكون فتنة عظيمة على الأمة؛ ولذلك لا ينبغي أن تنقطع ألسنتنا عن قول: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، لا تتصور أنه توجد مرحلة من مراحل الحياة أو العلم أو حفظ القرآن أو الثبات على الأعمال الصالحة، تصل فيها أن تطمئن أنك لن تنقلب عن الدين، نسأل الله أن يُعيذنا من الانقلاب، ويحفظنا، ويُرشِدنا ويُرشِد ذرّيتنا، ويهدينا ويهدي بنا إلى صراطه المستقيم.

المقصد الآن: يا معشر القراء استقيموا فقد سُبقتم -أنتم على طريق مستقيم والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قائد لكم- سبقًا بعيدًا.

(فَإِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا): (يَمِينًا وَشِمَالًا) مقابل (اسْتَقِيمُوا)، هو طريق مستقيم، لكن إن انحرفت يمينًا أو شمالًا ستكون ضللت ضلالًا بعيدًا، وهذا يناسب النقاش الذي ناقشناه سابقًا، أن أي خروج عن الطريق المستقيم لا تظن أنه بسيط، بمجرد أن تلتفتوا يمينًا وشمالًا، تكونون قد ضللتم ضلالًا بعيدًا، هذه بداية الضلال البعيد؛ لأن الخط المستقيم لا يتحمل الالتفات عنه ولو بزاوية صغيرة، وأنت لتتصور هذا الأمر فقوم نوح أكبر مثال، ولكن انظر للواقع ستجد أناسًا كثيرين كان مبدأ حياتهم أو قريتهم أو مدينتهم قائمًا على السنة، ثم حصل ضلال بسيط، التفات بسيط، انتهى بعد مئة عام باندثار السنة وبقاء البدعة؛ لأن السنة والبدعة يتزاحمان، لا يلتقيان، فإن انتشرت بدعة حلَّت مكان السنة، لا بد أن تزيح سنة، لا بد من إزاحة!

هذه النصيحة للقراء أو الفقهاء؛ لأنهم أهل الثقة وأهل الثغرة، فإذا قلبوا الثغرة علينا وأصبحوا هم ثغرة علينا ضاعت الأمة! إذا ضلّ العلماء، فما بالك بالتابعين؟! سيكونون أضل.

ننتقل للحديث الثامن:

• حدثنا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْدٍ، عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ -صلَّى الله عليه وسلّم- قَالَ: "إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ، فَالنَّجَاء، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ".

← الشرح:

كما هو واضح هذا حديث آخر تضمن مثلًا آخر، النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ضربه لنفسه، يظهر في هذا الحديث مفهوم النذارة، الحديث السابق يغلب عليه مفهوم البشارة، والحقيقة أن النذارة مقدمة على البشارة؛ لأن الإنسان إذا أُنذِر فاستيقظ نجا وسلم، فتتحقق بعد ذلك البشارة.

(إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا): سيضرب النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- مثلًا لنفسه ولما بُعِث به، (مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ) ما هو؟ نبدأ بالحقائق الإيمانية، وهي: كل ما يتصل بالغيب؛ أن هذه الدنيا اختبار، وأن بعد الموت جزاءً وحسابًا. هذا الحديث تصوره على أنه الجهة الأخرى للمثل السابق، المثل السابق ما جزء الغيب فيه؟ أن هناك دارًا وفيها مأدُبة، هنا الآن تصور الغيب كاملًا.

(إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ) كل الغيب الذي سيأتي به النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- الذي سيلزم الناس بوجوب العمل، وسنؤكد هنا على مفهوم النذارة، يعني ما سيحصل لهم في الآخرة إذا لم تحصل منهم طاعة. إذًا مثل النبي ومثل ما بعثه الله به من الحقائق الغيبية.

(كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا -أتى قومًا وسيكون لهم الآن شَاهِدًا- فَقَالَ: يَا قَوْمِ إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ): هنا سيظهر لنا معنى الحقائق الإيمانية؛ الآن عندما تنظر لحال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ستجد أن الله -عزَّ وجلَّ- قد مَنَّ عليه بأن أصبحت هذه الحقائق الإيمانية الغيبية مَرْأَى العين، بطريقة الرؤية، مثلما حصل في حادثة المعراج، يعني نحن المدعوون بالنسبة لنا غيب، ولكن بالنسبة للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- الحقائق الإيمانية التي يدعونا إليها شهادة رآها بعينه، وهكذا رأى من الغيبيات ما لا نرى، مثل حديث عائشة -رضي الله عنها- لما قال لها: «هذا جبريل يقرئك السلام، قالت: وعليه السلام ورَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، تَرَى مَا لاَ نَرَى»[8] ، يعني عائشة -رضي الله عنها- بفطنتها تصورت هذا المعنى أنه بالنسبة لك يا رسول الله شهادة، ونحن بالنسبة لنا غيب. (إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ): مثل رجل أتى لقومه وقال: "إني رأيت الجيش بعيني" هذا رجل كان في أنحاء القرية بعيدًا عنهم، ثم رأى جيشًا بعينه، فأتى مسرعًا إلى قومه. فسنرى الآن قومه بين مصدق ومكذب، ولكن سؤالنا: هذا الذي أتى لقومه نذيرًا كان بالنسبة له هذا الخبر غيبًا أم شهادة؟ شهادة. الآن انقل هذا للحقائق الإيمانية، وافهم أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ما أتى ينذر به غالبه كان بالنسبة له شهادة، رآه بعينه، وهذا واضح لو قرأنا حديث المعراج، وسيأتينا إن شاء الله إذا وصلنا إليه أنه -صلَّى الله عليه وسلَّم- رأى الجنة والنار في الحائط، الآن نتصورها مع هذه الأجهزة تستطيع أن تتصور معنى أنه رآها في الحائط، فهو رأى الحقيقة رأي العين، هذه حال النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- في غالب الحقائق الغيبية.

ومن هنا يأتي السؤال الذي دائمًا يُسأل: هل رأى النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- ربه سبحانه وتعالى؟ وأصح إجابة عند أهل السنة "إنه لم يره." والحديث فيه دلالة: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»[9] سبحانه وتعالى.

فالمقصد المهم أنه لم يرَ الله -عزَّ وجلَّ- فقط، ولكن بقية الحقائق رآها إلى أن وصل عند سدرة المنتهى، فهذه الحقائق كلها بالنسبة للنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- شهادة رآها بعينه، ثم أتى ينذرنا عنها، والآن ستأتي عقيدة في النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- تبين لك أنه لا يمكن أن يغشنا أبدًا، ولا يخدعنا، ولا يكتم عنا حديثًا، بل لما رأى هذه الحقائق ازداد خوفه وشفقته على أمّته كما سترى في المثل، المثل أُريد به تقريب أنه -صلَّى الله عليه وسلَّم- رأى الحقائق، فكيف ستكون حاله عندما يأتي ويخاطب أمته؟! وماذا سيكون في قلبك تجاه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- وتجاه حرصه الذي يكاد أن يهلك نفسه من أجل هذه الأمة، يعني بعدما رأى -صلَّى الله عليه وسلَّم- كان في قلبه من الشفقة التي سببت أنه كادت أن تذهب نفسه حسرات على هذه الأمة لأجل أن تحصل لهم الهداية.

(وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ) نأتي الآن إلى تمثيل النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لنفسه بأنه -صلَّى الله عليه وسلَّم- النذير العريان، وهذا مثل معروف عند العرب.

(النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ) بمعنى أن هذا النذير لما أحس بالخطر الداهم، وأن الأمر ليس فيه سِعة، خرج مسرعًا إلى قومه لدرجة أنه لم يتمكن من أن يرتدي ثيابه التي تستره.

دليل على أن الأمر خطير وأنه لا يتحمل التأخير؛ فلذلك خرج عريانًا يصرخ وينذر كأن الخطر قريب -الله يعيذنا ويحفظنا- لنتصور هذه الحال، نتصور عندما يتنبه أحد لحريق في بيت، مثل هذا أمر خطير وما يتحمل التأخير، فسيخرج بأي حالة كانت، وسيصرخ في الناس أن يخرجوا.

فهذه الحالُ عند العربِ كانت على صورةِ رجلٍ يداهمُ قومَه جيشٌ، وقد كشفَ أمرَه؛ فيخرجُ عريانًا صائحًا لخطورة الموقفِ وعدمِ تحمّلِه التأخير. وهذا بالضبط ما كان من النبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-؛ فقد رأى الحقائقَ الإيمانيةَ الغيبية، وعلِم أن الأمرَ جِدُّ خطير، ولا يحتملُ التأخير، وأن أنفاسَ الناسِ معدودة، قال تعالى: (نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا)[10]، ولا تحتملُ الأنفاسُ أن يتأخرَ عنهم في الإبلاغِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-. ومن هنا أتت الشفقةُ العظيمة، فشبّه النبيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- نفسَه بهذا النذيرِ العريان.

المَثَلُ هنا يأخذُ جبهتينِ في الحقيقة:

- جهةَ أن النبيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- رأى الحقائقَ بنفسه.
- جهةَ أن شفقَتَه وحِرصَه على أمته كحرصِ النذيرِ العريان.

---

[8] () أخرجه البخاري: (3217).

[9] () أخرجه مسلم: (178).

[10] () مريم: 84.

سنرى إشارةً أخرى لمفهوم (النذيرِ العريان):

النذيرُ العريان في المَثَلِ رجلٌ أسرعَ لخطورةِ الأمر ولم يرتدِ ثيابَه. أما بالنسبةِ للنبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- فما إشارةُ (النذيرِ العريان) في حقِّه؟ ولماذا خُصَّ بذلك مع كفايةِ لفظِ (النذير)؟

اللفظُ مَثَلٌ معروفٌ عند العرب، وفي حقِّ النبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- يتحققُ بكونِهِ متجردًا من كل مصلحةٍ شخصيةٍ يحققُها لنفسه؛ فالنبيُّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- لا يريدُ مالًا، ولا مقامًا، ولا شرفًا، وإنما مَثَلُه مَثَلُ الأنبياء: (قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا)[11] وإنما ينتظرُ الأجرَ من الله؛ فهذا تجردٌ تامٌّ منه -صلَّى الله عليه وسلَّم-. ولا تنسَوْا أن النبيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- في درجةِ اليقينِ بالحقائق فقد جمعَ بين اليقينِ حين قال: (إِنِّي رَأَيْتُ الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ) وبين انتفاءِ المصلحةِ الشخصيةِ له في هذا الإنذار.

نشير إشارةً أخرى لمفهوم (النذيرِ العريان):

أنه -صلَّى الله عليه وسلَّم- كما تجردَ من المصلحة، فقد تجردَ أيضًا من إخفاءٍ أو نقصٍ أو تغييرِ شيءٍ في الخبر؛ بل تلقى وأخبرَ كما تلقى -صلَّى الله عليه وسلَّم-. فهو مُتجرِّدٌ من المصالحِ الشخصية، ومتجردٌ من التحريفِ والإضافة. وتصوُّرُ النذيرِ العريانِ المستعجلِ السريعِ يُوضِحُ أنه لا وقتَ لديه لِيَضَعَ أو يَحمِلَ أو يُؤلِّف، إنما رأى فنقلَ مباشرةً، فهو وصفٌ ملائمٌ تمامًا للنبيِّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-.

(وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ فَالنَّجَاءَ النَّجَاءَ):

(فَالنَّجَاءَ): منصوبةٌ بفعلٍ محذوفٍ تقديرُه (الْزَمُوا) على سبيلِ الإغراء والتحضيض؛ أي يحثُّهم على النجاة، ويُناديهم أنِ انْجُوا ولا تتأخروا.

ثم نرى النتيجةَ في الحديث:

(فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا):

وهذه سنةُ اللهِ في كل شأن؛ أن كل دعوةٍ مهما أُقيمت عليها البراهين -خصوصًا الدعوات العظيمة- يغلبُ الشيطانُ بعضَ القومِ ويُلقي في نفوسِهم الشُّبَه؛ فينقسمون إلى فريقين:

الفريق الأول: طائفة أطاعت؛ وطاعتها مبنية على التصديق والانقياد.

الفريق الثاني: طائفة كذبت وعصت؛ فمَن لم يُطع يُفهم منه التكذيب.

وقوله: (فَأَدْلَجُوا)؛ الإدلاجُ في لغةِ العرب هو السيرُ في الليل. وهؤلاء الذين أدلجوا بنوا تصرُّفَهم على خبر النذير العريان؛ إذ أتاهم ليلًا يُحذِّرُهم من جيشٍ يُصَبِّحُهم، وحتى ينجوا يسيرون ليلًا. وتُلاحظون هنا سرعةَ الاستجابةِ التي تُنافي الحَرَج، فتُمثِّلُ القبولَ والانقياد؛ هذا الحديث يفهمنا ما سبق نقاشه في مسألة القبول والانقياد؛ لما قبِلوا ما كان في أنفسهم حرج، فانقادوا بسرعة. أما الإهمال في الانقياد فيشير إلى حرج في النفس.

وهم حين يتركون ديارَهم للنجاة؛ لا بُدَّ أن يكونوا مطمئنين إلى أن تركهم ديارهم قرار سليم. هذا الكلام الذي ذكرناه سابقًا: أنك عندما تنقاد وتتعلم، لابد أن تكون مطمئنًا، أريد منك أن تتصور -نسألُ اللهَ أن يحفظَنا ويحفظَ ديارَ المسلمين، وأن يردَّ كيدَ أعدائنا في نحورهم، آمين- الموقفَ كأنك فيه وكأن الزوجَ يقولُ لزوجتِه: "اجمعي المهمَّ لنُنْقِذَ أنفُسَنا"، فتتباطأُ وتسأل: "هل أنتَ متأكد؟" لعدم وجودِ القبولِ التام المنافي للحرج، فلا تحصلُ الطمأنينةُ للقرار أثناء التنفيذ.

أحسن ما يفهمنا الكلام السابق هو الشرطان: القبول والانقياد. الطائفة الأولى: (فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا).

قبلت فأطاعت وأدلجت، وهم مطمئنون لقرارهم هذا. فلا يُرادُ بـ "مهلهم" البطءُ في السيرِ الحسي، وإنما المُرادُ حالتُهم النفسيةُ من السكينةِ والطمأنينة، أي انطلقوا على تُؤدةٍ واستقرارِ بالٍ لا اضطرابَ فيه؛ وهذه حالُ المُوقِنِ الذي عرفَ الطريقَ وآمن بالخبرِ فسارَ مطمئنًا.

الطائفة الثانية: (كَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ).

الطائفة الأولى أدلجوا وما قالوا: "ننتظر الصباح لنتأكد!" وكانت نتيجة هذا الأمر أن حصلت الراحة النفسية؛ لتوفّر الوقت معهم.

الطائفة الثانية: حصل منهم التكذيب. التكذيب هنا مبنيٌّ على أنهم ما قبِلوا أن هذا النذير أتى لينذرهم، ما صدقوا؛ حصل منهم التكذيب: وكذَّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم، فصبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم؛ يعني ما انتظر عليهم. الفرقة الأولى اتفقنا أنهم نجوا، فكأنك عند كلمة نجوا تتصور أن هذه هي النتيجة الطبيعية؛ عندما ننقلها الآن لأتباع الأنبياء ستكون هذه النتيجة التي نثق بها، والآخرون: (فَصَبَّحَهُمُ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ)؛ بمعنى حصل لهم الهلاك.

النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أشار إلى المعنى، قال: (فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحَقِّ)؛ المثل واضح، وهو مركّب على المثل السابق.

سؤال من طالبة: في حديث أمس كنا ناقشنا موضوع أمة الدعوة وأمة الإجابة، وقلنا إن الأقرب هي أمة الدعوة. السؤال: ما اتضح لماذا أمة الدعوة هي المقصودة؟

الأستاذة: الآن سنأتي بحديثين لأجل أن نصل إلى هذا المعنى، لتتصوروا لماذا أمة الدعوة:

الحديث الأول: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى» قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».

---

[11] () الشورى: 23.

نأخذ هذه العبارة: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»

ونذهب للحديث الثاني التالي له مباشرة في الرؤيا: «فَالدَّارُ الْجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَرْقٌ أو فَرَّقَ بَيْنَ النَّاسِ».

(ومحمد -صلَّى الله عليه وسلَّم- فَرْقٌ أو فَرَّقَ) ماذا فعل -صلَّى الله عليه وسلَّم-؟ قسَّم الناس بين مستجيب يدخل الجنة وغير مستجيب يدخل النار، يعني دعا كل الناس ثم فرّق بينهم على حسب استجابتهم؛ فكل الناس أمة الدعوة، إلى اليوم وإلى غدٍ إلى أن تقوم الساعة، فأمتي تُفهم بأمة الدعوة. ويترتب عليها لو كانت أمة الدعوة، لو هذا الاختيار يصبح: "من أطاعني فأسلم دخل الجنة، ومن عصاني فكفر فقد أبى دخل النار." بهذا تفهم: محمد فَرْقٌ أو فَرَّقَ. بهذا انتهينا من هذا المعنى الأول.

نأتي للمعنى المشهور عندنا، والشراح ليسوا على المعنى المشهور، وإنما على المعنى الأول أن الأمة إنما هي أمة الدعوة، بدليل الحديث الثاني.

سنقول: الأمة هي أمة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ولكن لا مانع من المعنى الذي سأذكره وهو أن الأمة هي أمة الإجابة؛ "من أطاعني فقام بالواجبات وانتهى عن المنهيات دخل الجنة، ومن عصاني فترك بعض المأمورات والمنهيات فقد أبى؛ وسيدخل النار، ولكن ما دام معه التوحيد يخرج من النار." وهذا الجزء ليس بموضوعنا، فلا تأخذ الآن مجمل النتيجة، هذه تدرسها وحدها في مفهوم "موقفنا من العاصي" كيف أنه قد يغفر له... إلخ، لكن القول عند الشراح على معنى أن الأمة هي أمة الدعوة؛ لأنه قال: (فقد أبى) المسلم لا يصح له هذا الوصف؛ أن يأبى وأن يعصي النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قصدًا.

سؤال من طالبة: إنه قد يُتَّهم المنهج، منهج الحق -أو كما يُعبَّر عنه بالمنهج السلفي- بأنه جامد ولا واقعية فيه، وإنكار المحدثات وصل حتى تحريم الكهرباء بحجة أنها بدعة وما زالوا في الظلام؟

الأستاذة: واقعية هذا الكلام لا أعلمها، ولكن سأجيب على افتراض أن هناك أناسًا يحرمون الكهرباء. عندما نأتي ونتكلم عن البدعة وما يتصل بها لا بد أن ننطلق من النقطة الأولى التي تقول: إن هذه الدنيا لها مساران، إما ما نسميه بالتطوير أو ما نسميه بالجديد، وللشريعة موقف من ذلك، موقف من التحديث والتطوير لأننا نسميها "محدثات الأمور." فالشريعة لها موقف من التحديث والتطوير مبنيٌ على نظرتها للدنيا؛ أما كل ما يتصل بإعمار الأرض فهو حق لكل مجدّ ولا مانع من التطوير والتحديث، ما دام أنه لا يعارض مقاصد الشريعة الخمسة: المحافظة على الأنفس، وعلى المال، وعلى العرض، إلى آخر الخمسة مقاصد المشهورة. إعمار الأرض لا بد أن يكون محافظًا على المقاصد الخمسة، لا أن يعمروا الأرض ويفجرون الناس ويموت الناس! وليس أن يجيعوهم أو يسرقوهم! هذا إفساد. الشريعة ترى إعمار الأرض حقًّا لكل مجتهد ما دام لا يخالف ولا يضاد مقاصد الشريعة، إعمار الأرض المقصود به مثلًا: صناعة طائرة، جوال، سيارة... إلخ.

نأتي الآن إلى تطوير وتحديث النفس الإنسانية، كما هو مشهور الآن "تطوير الذات"؛ لا علاقة لي بثقافة تطوير الذات وإنما أتكلم عن النظرة الشرعية، أما تطوير النفس وتحديث ما يتصل بها فهو حِكْرٌ على الشريعة. هذا الذي نقول فيه: "لا نأخذ إلا ما جاء في الكتاب والسنة"؛ لأن هذه النفس التي بين جنبينا غيبٌ، وأتت الشريعة لتوجيهها وإعمارها وبيان الحق لها واهتدائها ومنعها من الضلال. أنت عندما تريد أن تستورد ما في الأرض وتستورد ما في النفس، تبقي الشريعة لمن؟ هذه النفس أتت الشريعة وأمرتك أن تحصّنها من الأفكار وتحفظها بما جاء من الوحي، وأدلته أكثر من أن نحصيها. فكّر في الخندق -غزوة الخندق- نفس فكرة الخندق هذه فكرة لا يعرفها العرب، أتتهم من فارس، تكلم بها سلمان -رضي الله عنه- هل النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال لهم: "لا، لن نحفر الأرض إلا على السنة؟" لا، وهذا كلام لا يقبله عاقل أصلًا، ولكن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- حارب باسم الله، وصَفَّ جندَهُ مليئين بالإخلاص لله، وقاتلوا على سنة الله، ولكن حفروا الخندق بمسألة تتصل بالدنيا، ما المانع؟! هذا ليس معه ثقافته، وليس هذا موضوعنا وإلا فهذا الموضوع له تفاصيل، ولكن هذا الكلام العام. إذا أُلْصِقَ هذا التفكير في المنهج السلفي ومنهج الحق فالمخطئ مُلْصِقُ هذا التفكير، ولكن المنهج الحق لا يقول بهذا. وكل مرة تعرف أن هذا حق وأتت فكرة من هنا خطأ ومن هنا خطأ، لا بد أن تحلل الفكرة وتفهم أن الفكرة هي التي فيها عيب. من أدلة ذلك مثلًا: لنتكلم عن اللجنة الدائمة للإفتاء عندنا في المملكة، ابتداءً من الشيخ ابن باز -رحمه الله- ومرورًا على الشيخ ابن عثيمين، وعلى الأئمة الكرام المعاصرين، هؤلاء كل أنواع الحضارة يستعملونها؛ بمعنى أيام ما كان هناك إفتاء على الهاتف كانوا يفتون على الهاتف، لما وصل الجوال صاروا يستعملون الجوال، عندهم برامج في إذاعة القرآن، عندهم برامج في التلفاز، الآن اللجنة الدائمة عندها بريد تستطيع أن ترسل لها سؤالًا، على الهاتف يوجد واتساب يرسل الناس الأسئلة عليه؛ يعني فكريًّا وواقعيًّا الأمر بخلاف ذلك. فهذا الإلصاق أتى ممن الله به عليم!

سؤال من طالبة: ما هي المحدثات الشر؟ هل هي محدثات العادات والعبادات أو التطور والتقدم؟

الأستاذة: نفس الجواب: كل ما يتصل بإعمار النفس -وهنا هذا شيء من التفصيل الآن ليس مكانه-، العادات التي نستعملها في حياتنا لا بد أن تتصور أنها تتشكل من ثقافتنا، وثقافتنا لها خصوصيتها ولها مصدرها؛ فنحن عاداتنا متشابكة مع ثقافتنا؛ ولذلك عندما نقول "عاداتنا" يعني كأننا نقول: "ديننا وأخلاقنا وقيمنا"، لا تفصل العادات عن دينك ولا عن ثقافتك. وهذه مشكلة الفصل الكبيرة، يعني هذا موضوع أكبر من أن نتناقش فيه الآن، ولكن على أمل أن يجمعنا الله ونتكلم عن هذا الموضوع المهم وهو: "فصل الأخلاق عن الدين" وهي كتلة واحدة. والنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-: «كان خُلُقُه القُرآنَ.»[12]، يعني كانت هيئته النفسية من عقيدة وعمل وتفكير، إنما كانت هي القرآن، وليست أخلاقًا وعبادات وتفصيلات علمانية! أصلًا الفصل كلام علماني، أنت عادتك وتقليدك وثقافتك وأخلاقك ومعاملتك كلها في دائرة واحدة ولها منبع واحد.

سؤال من طالبة: هناك مسلمات حديثات لما تعلموا اللغة العربية انطلقوا للتجويد... إلخ وتركوا العقيدة؟!

---

[12]() أخرجه أحمد (25813).

الأستاذة: هذا خلل في تعليمهم، المفترض أن تكون اللغة أداة لفهم الشريعة وليس لمجرد النطق بها، فالصحيح أن يتعلموا اللغة ليتعلموا معاني القرآن، وفي الخط الموازي لا بأس من ضبطه لفظًا، ولكنه كأنه الخط الموازي وليس الخط الرئيسي، فمن يعلّمهم لا بد أن يفهمهم هذا الشيء.

نفترض أني الآن عندي اختيار: أن أعلمهم بلغتهم أو أعلمهم اللغة العربية وأخاف أن يفتنوا بهذه الفتنة! علّمهم العقيدة قبل أي شيء حتى لو بلُغتهم، وعظّم لهم شأن العقيدة حتى عندما يتعلمون اللغة العربية يتجهون للعقيدة. المشكلة عند مَن أدخل لهم الموضوع؟ مثلًا أنا أتقن التجويد فأُعظّم التجويد لمن يسمعني، أنا أتقن مثلًا مصطلح الحديث فأُعظّم مصطلح الحديث لمن يسمعني! ليس بترتيب أولويات الشريعة، هذا خطأ من يخاطب الناس في البداية.

سؤال من طالبة: هل نطلب من ربنا أن يجنبنا الفتن؟

الأستاذة: نعم، ورد في الأثر الاستعاذة من الفتن، اللهم جنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن!

ننتقل للحديث التاسع:

• حدثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا لَيْثٌ، عَنْ عُقَيْلٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلّم- ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلّم- : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ» فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلّم-، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ.

فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ.

قَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ: عَنِ اللَّيْثِ: عَنَاقًا. وَهُوَ أَصَحُّ.

← الشرح:

سنفهم الحديث أولًا ثم نربطه بباب الاقتداء:

هذه الحادثة التي سنسمعها في الحديث، حادثة حصلت قبل حرب الردة، في الوقت الذي عزم فيه أبو بكر -رضي الله عنه- على قتالهم. ماذا حصل؟

(عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلّم- ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟): الآن أبو بكر -رضي الله عنه- عزم على القتال، وعمر له رأي آخر، ورأيه مستند إلى الدليل، يعني معارضته لأبي بكر إنما كانت اقتداءً، وسنرى بعد ذلك انتقاله للموافقة كيف كان أيضًا اقتداءً. كيف اقتدى أبو بكر -رضي الله عنه- وكيف اقتدى عمر في اعتراضه. وهذا قدوتنا، يعني حتى عندما نعترض على أحد في رأي، فإنما نعترض بناءً على كوننا مقتدين بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وبناءً على عقيدة في أنفسنا ومشاعر الحرص على متابعة سنة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-. "أنا لا أريد أن أعارضك، أنا أريد أن أعلم: هل هذا الذي فعلته أنت، هو الاقتداء أم الذي أفعله أنا هو الاقتداء؟" أو "رأيك أم رأيي هو الاقتداء؟" وليس لأنه رأيي أو رأيك، وإنما حرصًا على الاقتداء، وهذه الطريقة النفسية السليمة؛ "أني لا أفكر فيك كشخص، بل أفكر فينا كجماعة: هل سنصل إلى مقصدنا من الاقتداء بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أم لن نصل إلى مقصدنا؟"

الآن سيعرض الدليل:

(وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلّم- : «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»):

الدليل واضح في أن عمر -رضي الله عنه- رأى أن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- قال: (مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ)، فكيف نقاتله؟ وهؤلاء القوم قالوا: "لا إله إلا الله" ولكن منعوا الزكاة، فهو في رأيه أن الدليل يدل على أنه لا يصح قتالهم.

وهنا أود منكم أن تسجلوا التالي:

الأحاديث الواردة في عصمة الدم والمال على ثلاثة أنواع:

النوع الأولى: أحاديث اشترطت النطق بالشهادتين لعصمة الدم والمال، منها هذا الحديث، حديث أبي هريرة، ومنها حديث أسامة الذي قتل الرجل.

النوع الثاني: أحاديث أضافت إلى النطق بالشهادتين وعصمة الدم والمال إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، ومن ذلك حديث: (أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلاَّ بِحَقِّ الإِسْلاَمِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) فمن هذا الحديث تستطيع أن تفهم موقف أبي بكر.

النوع الثالث: أحاديث أضافت شروطًا أخرى، كحديث أنس: «مَنْ صَلَّى صَلاَتَنَا وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلاَ تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ»[13] ، هذا الحديث يشير إلى أنه لو أتى أحد فرفض شعيرة من شعائر الإسلام المشهورة أن تكون من دين الإسلام، فهذا يُحكم بعدم إسلامه ويُستتاب، وهذا يُدرس في باب أحكام الردة.

نحن بالنسبة لنا الآن الموقف أن نرى أن عمر -رضي الله عنه- استدل بدليل يرى أن فيه الاقتداء بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، والآن نتيجة النقاش: علمتَ أن أبا بكر استدل بدليل يرى فيه الاقتداء بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-. إذًا هذا صواب وهذا صواب. يُضاف إلى ذلك أن القدر الأقل هو كلام عمر؛ يعني من يقول: "لا إله إلا الله" يُعتبر مسلمًا ولن نقاتله، والأكثر هو الحديث الذي استدل به أبو بكر. الآن في موقف مثل هذا وأبو بكر هو ولي الأمر، والمصلحة لقيادة الأمة وسياستها تقول: "إن الأمر إذا انفك بهذه الطريقة سينفرط"؛ لأن المرتدون على أنواع:

- هناك مرتدون عادوا إلى عبادة الأصنام.
- وهناك مرتدون فرَّقوا بين الصلاة والزكاة.
- وهناك من تركوا الصلاة وإن أشاروا إلى أن الزكاة والصيام سيفعلونهما!
- وهناك من قالوا: "نصلي ونحج وكل شيء ولكن أموالنا لا تقربوها!"

فهم في أنفسهم لم يأخذوا الدين من باب الانقياد. فهذا الذي جعل كلام أبي بكر -رضي الله عنه- في هذا الموقف أصح من كلام عمر؛ لأن شرط القبول تنحّى.

هذا الحديث أورده في باب الاقتداء إشارة إلى أن كلام عمر واعتراضه اقتداء، وتصرف أبي بكر اقتداء؛ يعني حتى هؤلاء الكُمَّل من الخلق بعد الأنبياء إنما كان كمالهم مبنيًا على اقتدائهم.

الآن سنسمع أبا بكر -رضي الله عنه- ماذا يقول: (وَاللَّهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ): الآن فرَّق بين الصلاة والزكاة، بمعنى أنه ما قبِل الشريعة.

(وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم- لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ): عِقالًا بمعنى حَبْلًا.

(فَقَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ): إذًا عمر -رضي الله عنه- استدل بانشراح صدر أبي بكر.

سنلحظ الآن شيئًا جديدًا؛ قد مرَّ معنا في مسألة الاقتداء كلام مجاهد، قَالَ: (أَئِمَّةً نَقْتَدِي بِمَنْ قَبْلَنَا، وَيَقْتَدِي بِنَا مَنْ بَعْدَنَا)، وأن عمر -رضي الله عنه- في موقفه مع شيبة عند الكعبة قال له شيبة: لن تفعل ما أنت بفاعل. لماذا؟ (لَمْ يَفْعَلْهُ صَاحِبَاكَ) لأنه متأكد من كون مثل عمر -رضي الله عنه- إنما يقتدي بمن قبله. فنحن نتحمل مسؤولية اقتدائنا بمن قبلنا، على أننا نعلم أن من بعدنا سيقتدون بنا. فكان هذا موقف عمر، أنه لما رأى انشراح صدر أبي بكر جعل أبا بكر هو القائد وهو تابعٌ له؛ لأنه إذا بقي أبو بكر يستدل بهذا الدليل وعمر يستدل بهذا الدليل وبقي النزاع، ما كان سينتهي الأمر. ولكن الحقيقة أن عمر -رضي الله عنه- مَثَّل موقف الاقتداء على أكمل وجه؛ لما رأى انشراح صدر أبي بكر، كان تابعًا له، مقتديًا به، عالمًا بمكانه عند النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وبأن شأن أبي بكر -رضي الله عنه- أقرب إلى الحق،

في الرواية الأخرى: (عَنَاقًا.) العَنَاق: الجَذَعَةُ الصغيرة؛ يعني الشاة بنتها الصغيرة، هذه أو شيء أقرب.

ننتقل للحديث العاشر:

• حدثني إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ؟ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ: فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ، فَقَالَ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ، فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ.

← الشرح:

---

[13] () أخرجه البخاري: (391).

القصة واضحة؛ هذا الشخص المستفز الآن: (عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر)، هذا فزاريّ، بل كان سيد قبيلة فزارة، وقد وُصف بأنه (الأحمق المطاع). نسمع عنه لنتخيل كيف وصل إلى هذا التصرف:

عيينة أسلم عام الفتح؛ يعني المفترض أن نعتبره صحابيًا لأنه أسلم عام الفتح، وكان مع النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وأيضًا أعطاه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- من غنائم حُنين وأنزله منزلة المؤلفة قلوبهم، حتى إن النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- أعطاه مئة من الإبل وأعطاه أربعين أوقية من الذهب، وقد سجل التاريخ هذا الأمر، أنه ما كان مر على إسلامه إلا أيامًا معدودة؛ يعني بالتقدير خمسة أيام، فأعطاه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- تأليفًا لقلبه، ثم ارتد أيام أبي بكر.

والآن لِاحَظْ كيف أن البخاري في غاية الفطنة، حيث أنه وضع هذا الحديث بعد الحديث السابق الذي فيه الكلام عن الردة؛ ينقلك للجو نقلًا كاملًا، تقرأ في الردة وتتصورها ثم تنتقل لأحد المرتدين كيف يتصرف.

الكلام عن عيينة بن حصن تدور حوله القصة، ثم في القصة ابن أخيه، وهناك من يعتبره من الصحابة وإن كان يُذكر أنه ليس مؤكَّدًا، كان ابن أخيه مؤمنًا. المشكلة الآن في مَن؟ في عيينة الذي اعتدى على عمر -رضي الله عنه- كما نرى. فاعْلَمْ تاريخه لتفهم هذا الاعتداء كيف أتى؛ يعني أسلم فاعتبره النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- من المؤلفة قلوبهم، وارتد أيام أبي بكر -رضي الله عنه-، وارتدّ بمعنى أنه اتبع أحد مدَّعي النبوة. وكيف اتبعهم؟ انظر لتفكيره: أسد بن خزيمة هذا ادَّعى النبوة وهو له نسب مع عيينة؛ يعني له قرابة مع قبيلة فزارة، فهو قال -يعني هكذا في تفكيره والله أعلم-: يَتَّبِعُ محمدًا وهو قرشي وبُعَيْد، أو هذا القريب! فذهب لجماعته وارتد. ثم عندما أتى القتال الذي مرَّ معنا، أُسر عيينة وأُتي به للصديق فاستتابه فتاب وأعلن التوبة، فأطلقه أبو بكر.

سنرى الآن فيما نتقدم أنه أيضًا حصل له موقف مع عمر -رضي الله عنه- في خلافة أبي بكر بعد استتابته جعلته بهذه الصورة الآن؛ يعني إلى الآن أخذنا جزءًا من تاريخه، ثم سنضيف موقفًا واحدًا يزيدنا فهمًا للحالة:

(قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الْحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ): جاء في القصة ابن أخيه، وكما ذكرنا، قد ذكروا في الطبقات أن له صحبة ولكن ليست ثابتة، وهو رجل ممن حسُن إسلامه.

(وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ): من كان من النفر الذين يدنيهم عمر؟ الحُر الذي هو ابن أخيه. الحِر كان من النفر الذين يدنيهم عمر -رضي الله عنه-، وكان من القراء.

(وَكَانَ الْقُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا): ما مكانة الحُر؟ كان من القراء، أي العلماء. وهؤلاء القراء هم أهل مجلس عمر -رضي الله عنه-؛ يعني مجلس المشاورة، علماء سواء شُبّان أو كهول. يُشير في هذا إلى أن الحر كان شابًا وكان صاحبًا لابن عباس، وفي الرواية في كتاب العلم: "أن ابن عباس والحر هما اللذان تماريا في صاحب موسى." فالحُر وابن عباس كأنك تتصور أنهما أصحاب؛ يعني متقاربَيْن في العلم، وترى أن الاثنين شباب والاثنين في مجلس عمر رضي الله عنه. وهذا الكلام كله مفيد لتفهم خاتمة القصة.

وكان من أهل مشاورته؛ يعني من توفيق الله لعمر أنه اتخذ مستشاريه ومجالسيه من العلماء من الشيوخ والشباب؛ لأن الشاب سيفهمون الأحداث الجديدة، ومن الشيوخ ليستفيد من حكمتهم من عرض الأمور عليهم. وهذا كله منهج تربوي يجعلك تفهم أن فيما حُبس من العلم بين دفتي هذه الكتب خيرًا كثيرًا لمن كان له قلب.

(فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ؟): يعني هذا أتى بصيغة الاستفهام؛ بمعنى أنه يسأله: "هل أنت من الوجهاء الذين يمكن أن تدخلني على عمر؟" وهنا تفهم أن عمر -رضي الله عنه- يمنع السفهاء من مجلسه؛ يعني هذا مجلس يُجلس خاصّةً فيه وليس مجلس قضاء، أو تقول: لماذا لا يتعرض للناس؟!" لا، ولي الأمر شأنه لا يتحمل أن يتعرض دائمًا للناس. وقتٌ يصلي بهم كما هو معلوم، لأنه كيف قُتل عمر رضي الله عنه؟ قُتل وهو إمام، فهذه الصلوات مثلًا كانت وقت يجتمع فيه بالناس يسألونه، يكلمونه، يطلبون منه إلى آخره، لكن مجلسه يمنع السفهاء منه؛ لأن لديه شؤونًا عظيمة، فيمنع السفهاء من هذا المجلس. فعيينة يريد أن ينفرد بعمر -رضي الله عنه- في مجلس ليفعل ما يفعله هنا.

(قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ لِعُيَيْنَةَ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ): أولًا لاحظ أن الراوي ابن عباس؛ لأن صاحبه هذا قد حكى له. وثانيًا الآن: الحُر أجاب طلب عمه وهو لا يتصور ماذا يريد؛ يعني لن نُخطِّئه، هو يعتبر رئيس القبيلة وله مكانة، فأدخله على عمر واستأذن. فما إن بدأ إلا وبدأ بالأعوج مباشرة، فقال: (يَا ابْنَ الْخَطَّابِ) هذه الطريقة عند العرب إشارة للإهانة؛ يعني من البداية، أسقط عن عمر جميع الألقاب الدينية الشرعية التي يستحقها، مثلًا: صاحب رسول الله -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وهو من المهاجرين الأولين، أمير المؤمنين، خليفة المسلمين، يا عمر. بل قال: "يا ابن الخطاب!" وهي طريقة معروفة عند العرب عندما يريدون أن يهينوا شخصًا يقومون بإسقاط اسمه وشخصه ولا ينسبونه إلى القبيلة الكبيرة، وإنما ينسبونه إلى الأب مثلًا أو إلى كذا بأنك مجرد ابن فلان؛ يعني إذا أرادوا أن يحقروا شأن شخص نسبوه إلى أبيه أو جده، فقالوا: يا ابن فلان، في الغالب الأعم الأب أو الجد. وهذا مثلما حدث لما وفدوا على هرقل وقال أبو سفيان -طبعًا قبل إسلامه لما رأى انفعال هرقل- فقال: "لقد أَمِرَ أَمْرُ ابن أبي كبشة!" يشير إلى النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، و"ابن أبي كبشة" هنا يشير إلى أحد أجداد النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، يريد أن يقلل من قيمة النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، وهذه طريقتهم.

(فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ، وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ): الآن لماذا هذا الهجوم؟ سنضيف قصة حصلت بين عمر وبين عيينة: الآن عيينة بن حصن لما عاد فأسلم في زمن أبي بكر وأعلن التوبة، عفا عنه الصديق، ثم ذهب زمن وعاد مرة أخرى لأبي بكر، قال: "أعطني"؛ يعني يريد عطية مثلما أعطاه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-. فماذا فعل أبو بكر؟ أقطعه أرضًا كبيرة؛ يزرع فيها أو يسكن. كان هذا التصرف من أبي بكر تألُّفًا مثلما فعل النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، ولكن ليبتليه ربنا خرج من عند أبي بكر فلقيه عمر، فقال له عمر: "ما هذه الورقة؟" قال: "هذه منحة أرض من أبي بكر." فأخذها وقطعها ورماها غضبًا. فذهب ولكنه لم ينسها لعمر -رضي الله عنه-، فعاد فحصل هذا الموقف.

ذكرنا القصة لتتخيل الفرق بين عمر -رضي الله عنه- وأبي بكر: أبو بكر اقتدى بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- في كونه ألَّفه، وعمر أيضًا اقتدى بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- في كون أن في الحُكم من نافق أو ضعف إيمانه وظهر فِسقه وفجوره والذي لا ينتفع بالتأليف، فالنبي -صلَّى الله

عليه وسلَّم- مرَّ في سيرته أن الذي لا ينتفع بالتأليف يتركه النبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، يترك الخبر عنه ويتركه أيضًا. فعمر رأى أن هذا الطريق المناسب، وأبو بكر رأى أن هذا الطريق المناسب. الشاهد: عيينة لم ينسَ الموقف، فعاد وقال: (يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الْجَزْلَ): يعني عطاؤك كله محدود، وهو لا يزال يفكر في هذا الموضوع، طمّاع؛ يعني يريد شيئًا كثيرًا، يريد هبة مثل تلك الهبات، فأنت ما تعطينا الجزل وإنما مقتصد علينا.

(وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالْعَدْلِ): الجملة الأولى قد يتجاوزها بالرد عليه، لكن الثانية لا يتجاوزها؛ لأنه اتهمه بالظلم، وهذا شأن عظيم لا يصح لأي محكوم أن يتهم به الحاكم عيانًا بدون دليل. فهنا جاء الاتهام الجائر، فكأن عمر في هذه اللحظة حصل منه الغضب.

(فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ): بمعنى أنه يحكم عليه، يسجنه، يقيم عليه الحد. لماذا؟ هل انتصارًا لنفسه؟! لا بد أن نتأكد أنه ليس انتصارًا لنفسه، لنفكر بالخلفية التي نعرفها عن عمر: مقام الأئمة يجب أن يُحفظ ليبقى نظام الدولة؛ ولذلك على مر الزمان، كل من يشكّل شيئًا في مفاصل الدولة ويُعتبر كأنه نموذج، كأنه ممثل للدولة، حتى الآن يُعبَّر عنه بالحصانة الدبلوماسية. كل من يمثل هذا لا بد أن يكون عنده نوع من الحصانة؛ يعني لا يحصل عليه الاعتداء، لأن الاعتداء عليه يعني هزًّا للدولة، فقدًا لأمنها، فقدًا لسلطتها التي بها تسير. ولو فقدت سلطتها يعني في داخلها ستحصل فوضى، ولا بد أن تكون الصفوف في الداخل مرتبة؛ لنستطيع أن نقاتل الخارج؛ طالما هناك فوضى في الداخل إذًا أنت لن تصلح للخارج. وهذا ما يسميه مثلًا ابن تيمية "السياسة الشرعية"، وله كلام جميل في سياسة عمر -رضي الله عنه- وفهمها؛ بمعنى لا تغتر كثيرًا بالدعاوَى الديمقراطية التي تشير لك بحقوق الإنسان "وأنت يمكنك أن تفعل ما تشاء" أول أمر: هم كذابون، كل هذا ليس حقيقة، الأمر الثاني: الناس لهم طريقة في الضبط، إذا ما حصلت انفرط العقد، ووصل أعداء الدين إلى ما يريدون؛ ولذلك عمر -رضي الله عنه- لما طُعن أشار إلى معنى من هذه المعاني؛ لأن من طعنه كان مجوسيًا، وكان عمر -رضي الله عنه- يرى أنه لا يكون في جزيرة العرب مثل هذا وأنه لا بد من إخراجهم، فلما طُعن أشار إلى ذلك وقت طعنه، اقرأوها لتتصوروا.

فكانت سياسة عمر -رضي الله عنه- سياسة الحزم التي تعطي القوة للبلاد. فلما اعتدى هذا الاعتداء غضب على مقام الإمامة؛ الاعتداء يجعل الإهانة سهلة، يجعل الثغرات كبيرة، وهكذا.

هنا خرجت الضغينة النفسية التي في عيينة وهو يكذب فيما يقول ومعلوم أن الموقف الذي حصل بينهم هو ما سبب هذا القول.

(فَقَالَ لَهُ الْحُرُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ)): الآن تدخل الحُر يدل على عقله وأنه رشيد، لما رأى عمر سيرتب على هذا الموقف؛ مثلًا أن يعاقبه أو يضربه، ستزيد الأحقاد وربما ارتد العم مرة أخرى وسيكون الشأن عظيمًا. أراد الخير بعمر -رضي الله عنه- وأراد الخير بعمه. ما اتجه لعمه ولم يطلب منه الاعتذار، وكنا سمعنا أنه قد قيل عن عيينة إنه (الأحمق المطاع)؛ يعني هو أحمق، ففهم الحُر أن مثل هذا لا يُوجَّه له كلام، فوجَّه كلامه لمن يعرف أن الاستجابة عنده للحق واضحة، ولم يرشده لأي كلام ولا قال له: "اعْفُ عنه" ولا قال: "سامحه" ولا قال: "هذا سفيه"، وإنما ذكَّره بنص. وهذا يبين لك أنه قد اشتهر عن عمر أنه وقّاف، هذا الشيء هو الذي فهمه الحُر؛ أنه لن يسكن عمر -رضي الله عنه- بكلام إلا بكلام الله -سبحانه وتعالى- أو بكلام رسوله -صلَّى الله عليه وسلَّم-؛ فلذلك قال: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى)، وهنا تتصور هذه الصفة: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا)[14] فسكن الغضب. وانظر الزيادة التي هي بالنسبة لنا أيضًا شاهد الباب: (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-) وهذه الكلمة كانت سببًا للتسكين، ومن جهة أخرى هي الشاهد في الباب. وانظر إلى فقه البخاري الآن، كل هذه القصة ليأتي بهذه الكلمة ليقول لك كيف كان الأصحاب الكرام يقتدون، وكيف أن الذين كانوا حول الأصحاب الكرام كانوا يعرفون مقدار اقتداء الأصحاب الكرام.

(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قال لنبيّه): قد يأتي من يقول: "القول للنبي!" ولكن عمر -رضي الله عنه- لن يقول ذلك، وإنما هو في حال الاقتداء.

(خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ) وإشارتها واضحة: خذ العفو؛ يعني خذ من الناس ما عَفَت عنه أخلاقهم؛ بمعنى أن الجاهل اعتبِر جهله، والأحمق اعتبِر حماقته. عندما تعامله وهو أحمق لا تقل: "لماذا لم تكن عاقلًا!" يعني خذ ما عفت عنه أخلاق الناس؛ يعني ما خرج منهم. لماذا قال ذلك؟ أراد أن يشير إلى أن هذا أحمق، فلست أنت إلا متبعًا للرسول -صلَّى الله عليه وسلَّم- في أخذ هذا الإنسان بتعبيرنا "على قدر عقله"، ولذا إن فكرنا بهذه الطريقة سنكون مرتاحين.

الآن موضوعنا الاقتداء، انظر كيف يصفه: (وَإِنَّ هَذَا مِنَ الْجَاهِلِينَ): خذ العفو؛ يعني كأننا نقول: "خذهم على قدر عقولهم"، فأنت إذا ما استطعت أن تأخذ العفو ماذا تفعل؟ على الأقل أعرض عنه.

(فَوَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ): يعني هذا الكلام قد يكون من كلام ابن عباس الذي يروي الحديث، ويمكن أن يكون من كلام الحُر.

الآن يصفون عمر -رضي الله عنه- بماذا؟

(مَا جَاوَزَهَا) أول شيء في هذا الموقف: ما جاوزها؛ يعني ما دخل في نقاش، ضبط نفسه وغضبه مع معرفتنا لعمر وشخصه. ثم إن هذا لم يكن موقفًا فريدًا، وإنما كان طبعًا دائمًا، حالة دائمة: (وقافًا)، يعني كأنك تقول: "دائم الوقوف."

إذا أردت أن تفهم هذه الآية هناك كلام جميل لابن القيم عليها؛ يعني يمكن أن تعودوا له وتقرؤوه، وقد أشار إلى معنى واسع لهذه الآية أوسع مما يمر في خاطرنا.

عندما تنظر إلى فقه عمر تفهم ما معنى أن يكون الإنسان مقتديًا بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم-، هذه حالة من حالات الاقتداء.

قارن بين حالة عمر هنا والحالة السابقة التي كانت مع أبي بكر -رضي الله عنه-؛ وفي كلا الأمرين كان وقّافًا.

---

[14]() الأنفال: 2.

عادةً عندما يكون هناك رأيان بين الناس يصرون على آرائهم، عمر -رضي الله عنه- كان وقافًا، وإذا تبنى رأيًا كان وقافًا؛ يعني لا يعاند لإثبات رأيه، لا يصر على إثبات رأيه، وإنما يقف. وهنا ما قال لك إنه اقتنع تمامًا برأي أبي بكر، ولكنه رأى أن انشراح صدر أبي بكر وأبو بكر له ما له في الدين وفي المقام، إذًا "أنا سأتنازل عن أمري وعن رأيي." في الرواية أنه رأى انشراح صدر أبي بكر، فهو وقّاف في حالة غضبه، في حالة صحة رأيه والرأي الثاني مخالف له.

فأنت عندما تريد أن تقتدي بالنبي -صلَّى الله عليه وسلَّم- لا تختَر المواقف التي تريد. ولاحظ هنا في الغضب عبَّروا بأنه (وقّاف)؛ لأن الغضب قوة قد لا يستطيع الإنسان أن يقف أمامها، ولكن إذا كان طبع الإنسان أن يكون وقّافًا، طبعه المكتسب، يُوفَّق في مواقف صعب أن يقف فيها، يُوفَّق من الله ويُلهم الصواب، وهو لا زال مُلهمًا، فانشرح صدره لما شرح صدر أبي بكر له في الحديث الأول، وهنا وقف أمام الآية مكان ما كان يجب أن يقف.

ووالله ما بقاء مثل هذا الحديث ونقله حتى نسمعه نحن بعد أكثر من 1300 عام إلا دليلًا على توفيق الله لعمر -رضي الله عنه-، وعلى أن هذا الوصف حق له.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.